

## مراحل تطوّر مدّة الصّوم الكبير في الكنائس المختلفة شرقاً وغرباً

سوف أتكلّم في البداية عن مدّة الصّوم الكبير في كنيسة مصر، ثمّ أتكلّم بعد ذلك عن مدّة الصّوم الكبير في الكنائس المختلفة شرقاً وغرباً، لكي أحسم هذا الأمر بصفة نهائية برغم أنني قد شرحتُ هذا الموضوع من قبل، وذلك في كتاب ”صوم نينوى والصوم المقدس الكبير“، والذي نُشر في يناير سنة ٢٠٠٩ م.

### ( أ ) مدّة الصّوم الكبير في كنيسة مصر

سأتكلّم عن مراحل تطوّر مدّة الصّوم الكبير في كنيسة مصر، ثمّ أشرح بالتّفصيل تاريخ دخول الأسبوع الثامن الذي أضيف على مقدّمة الصّوم الكبير، وسوف أركّز حديثي عن هذه الجزئية الأخيرة في ثلاث نقاط محدّدة هي:

(١) ليس لدينا شاهد موثّق واحد يُثبت أنّ صوم الأسبوع الثامن الذي أُلحق بمقدّمة الصّوم الكبير كان معروفاً في كنيسة مصر قبل أوائل القرن السّابع الميلادي أي في زمن الإمبراطور هرقل.

(٢) جميع الشّهادات الوثائقيّة الغزيرة تُثبت أنّ هذا الأسبوع يُعرف باسم ”أسبوع هرقل“ أو ”صوم هرقل“ أو ”جمعة هرقل“.

(٣) تسمية هذا الأسبوع من الصّوم في كنيسة مصر باسم ”أسبوع الاستعداد“، هي تسمية خاطئة، لأنّه لا علاقة لكنيسة مصر بهذه التسمية لا من قريب ولا من بعيد.

ولنبداً الحديث من البداية.

إنّ أقدم صوم عرفته الكنيسة المسيحيّة، مرتبطاً بعيد الفصح أي عيد القيامة، هو الصّوم الذي كان يسبق هذا العيد، والذي اختلفت مدّته بين كنيسة وأخرى. وكانت المرحلة الأخيرة من تطوّره هو صوم الأيام الستة السّابقة لعيد الفصح والتي صارت تُدعى ”أسبوع الفصح“ والتي عُرفت فيما بعد باسم ”أسبوع البصخة“، أو في الغرب باسم ”أسبوع الآلام“، وهو ما عرفناه من البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٦-٢٦٤م)<sup>(١)</sup>. وقد انتشر هذا الصّوم في الكنيسة كلّها في أوائل القرن الرّابع الميلادي في أيام الملك قُسطنطين الكبير (٣٢٣-٣٣٧م).

أمّا الصّوم الأربعيني في بداياته المبكّرة جدّاً في أوائل القرن الثالث الميلادي، فكان صوماً مستقلاً بذاته، لا يرتبط بعيد الفصح، إذ كان يبدأ بعد عيد الغطاس مباشرة<sup>(٢)</sup> في بعض الجهات كتطبيق مباشر لقول الإنجيل المقدّس<sup>(٣)</sup>. وبعد منشور ميلان سنة ٣١٣ م وهدوء الاضطهاد، وبعد ضم فترة الأربعين المقدّسة على صوم الأيام الستة السّابق ذكرها مباشرة، صارت هذه الفترة تمهيداً لطقوس المعموديّة، كمرحلة أخيرة من مراحل تعليم الرّاعبين في الدّخول إلى الإيمان

١- نصّ القانون الأوّل (من الرّسالة إلى باسيليوس) ANF., vol. 6

2- L. Villecourt, O.S.B., *Les observances liturgiques et la discipline du jeûne dans l'Eglise Copte*, in *Le Muséon* XXXVIII, 1925, p. 266 ; Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, op. cit., p. 194..

٣- متى ١٣:٣-١٠:٤

مراحل تطوّر مدّة الصّوم الكبير في الكنائس المختلفة شرقاً وغرباً

المسيحي، لإعدادهم للمعمودية.

أمّا عن الصّوم الأربعيني في كنيسة مصر تحديداً، فلا نجد عند العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) أي ذكر له، أي حتى أوائل القرن الثالث الميلادي، لأنه يتكلّم فقط عن صوم الأربعاء والجمعة من كل أسبوع في كنيسة الإسكندرية، وذلك في كتابه (المتفرقات ١٢:٧).

وفي زمن العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) نجده يشير في عظاته إلى الأصوام المعروفة في كنيسة الإسكندرية في زمانه، فيقول:

[إن الأصوام التي نلتزم بها، هي الأربعون المقدّسة، والأربعاء والجمعة]<sup>(٤)</sup>.

وهذا يعني أنّ الصّوم المقدّس الكبير قد عُرف في مصر في النّصف الأوّل من القرن الثالث الميلادي.

وفي موضع آخر يتكلّم العلامة أوريجانوس عن صوم أسبوع البصخة، فيقول:

[إنّ عادة الكنيسة منذ القدم هي استخدام سفر أيوب دائماً في الأربعين، وعلى وجه الخصوص في البصخة، لأنه هو أيضاً مناسب بالأكثر لهذه الأيام]<sup>(٥)</sup>.

مما يعني أيضاً أنه حتى ذلك الوقت كان صوم الأربعين المقدّسة، منفصلاً عن صوم أسبوع البصخة. ولقد أثبتت الدّراسات الآبائية الحديثة أنّ البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) هو الذي ضمّ الصّوم الأربعيني المقدّس سنة ٣٣٤م<sup>(٦)</sup>، إلى صوم الأيام الستة التي كانت معروفة في كنيسة الإسكندرية من قبل.

فكان الصّوم الكبير يمتد في كنيسة مصر إلى ٣٥ يوماً، حيث لا يُكسر الصّوم قبل الساعة التاسعة من النّهار (الثالثة بعد الظّهر)<sup>(٧)</sup>، ويعقبه ستة أيام صوم الفصح، والتي تبدأ يوم الاثنين، وتنتهي يوم سبت الثور، فيكون مجموع أيام الصّوم ٤١ يوماً، أي ستة أسابيع. واستمر هذا الوضع قائماً حتى نهاية حبريّة البابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) علي الأقل<sup>(٨)</sup>، وهو ما تُثبتته الرّسائل الفصحية للبابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، والرّسائل الفصحية للبابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م)، إلى جانب ما ذكره كلٌّ من المؤرّخ سوزومين (التّاريخ الكنسي ١٩:٧)<sup>(٩)</sup> (أوائل القرن الخامس الميلادي) والمؤرّخ سقراط (التّاريخ الكنسي ٢٢:٥)<sup>(١٠)</sup> (٣٨٠-٤٥٠م) حتى منتصف القرن الخامس الميلادي،

٤- عظة على سفر اللاويين (٢:١٠).

٥- عظة على سفر أيوب (١:١).

6- Cf. Annick Martin, *Athanase d'Alexandrie et l'Eglise d'Egypte au IV<sup>e</sup> siècle (328-373)*, Rome, 1996.

ولشرح أوفر لذلك الموضوع، انظر للمؤلف كتاب: "صوم نينوى والصوم المقدّس الكبير"، الفصلان الأوّل والثاني من الباب الثاني.

٧- انظر المراسيم الرّسولية (١٩:٥)، والتي تمّ تدوينها أواخر القرن الرابع الميلادي.

٨- كلّ الرّسائل الفصحية بدءاً من البابا أثناسيوس الرّسولي وحتى البابا كيرلس الكبير تفصل بين الـ ٣٥ يوماً الأولى للصوم، والأيام الستة التّالية التي لأسبوع الفصح.

Cf. *NPNF.*, Series 2, vol. 4, p. 509 ff.

٩- يقول سوزومين: "في بعض الكنائس تشتمل الفترة المدعوة الصّوم الأربعيني، التي تسبق هذا الاحتفال (أي الفصح) والتي تخصص من كل الشعب للصوم على ستة أسابيع كما هي الحالة في إيليريا Illiria (القسم الشّمالي الغربي من شبه جزيرة البلقان. والبلقان هو الاسم الذي يُطلق على ألبانيا وبلغاريا واليونان والجزء الأوروبي من تركيا) والأقاليم الغربيّة وفي ليبيا وسائر أرجاء مصر وفي فلسطين. بينما تتكوّن من سبعة أسابيع في القسطنطينيّة والمقاطعات المحاورة في فينيقية ... إلخ".

١٠- يقول سقراط: "هناك اختلاف في مدّة الأصوام التي قبل عيد القيامة بين الشّعوب المختلفة. ففي روما يصومون ثلاثة أسابيع متتالية قبل القيامة فيما عدا السبت والأحد. وأهل إيليريكيّا وسائر اليونان والإسكندرية يراعون صوماً لمدة ستة أسابيع ويسمونها الصّوم الأربعيني. وآخرون يبدأون صومهم من الأسبوع السّابع قبل القيامة ويصومون خمسة أيام فقط (من كل أسبوع)، ومع ذلك يدعوونه صوم الأربعين يوماً".

حيث لا يرد في حديثهما أي ذكر لصوم يمتد إلى ثمانية أسابيع.

نحن الآن قد وصلنا إلى منتصف القرن الخامس الميلادي. ثم تأتينا إشارة وثائقية في غاية الأهمية، تعود إلى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، ثبت لنا استمرار صوم الأسابيع الستة للصوم الكبير في كنيسة مصر شاملة فيها أسبوع البصخة المقدسة.

وهذه الشهادة الوثائقية تأتينا من وثيقة يونانية كتبت على ورق البردي<sup>(١١)</sup>، تعود إلى حوالي سنة ٥٧٧ ميلادية، وهي رسالة أرسلها بطريرك الإسكندرية<sup>(١٢)</sup> إلى الكنائس المصرية، نعرف منها أن زمن الصوم الكبير في كنيسة مصر هو ستة أسابيع أي أربعون يوماً شاملة فيها أسبوع البصخة المقدسة، حيث يرد فيها أن الصوم الكبير يبدأ يوم ١٩ برمهاث (١٥ مارس)، وأن أسبوع البصخة يبدأ يوم ٢٤ برموده (١٩ إبريل)، وأن عيد القيامة يوم الأحد ٣٠ برموده (٢٥ إبريل)<sup>(١٣)</sup>.

إذاً نخلص إلى القول أنه حتى سنة ٥٧٧ ميلادية أي حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، كانت مدة الصوم الكبير في مصر ستة أسابيع في زمن البابا داميانوس ال ٣٥ (٥٦٩-٦٠٥ م) من بطاركة الكنيسة القبطية.

ثم تأتينا شهادة وثائقية أخرى في منتصف القرن السابع الميلادي، نعرف منها أنه قد صارت المدة الإجمالية للصوم الكبير في كنيسة مصر ثمانية أسابيع. وهو ما نعرفه من الرسالتين الفصحيتين للبابا بنيامين الأول ال ٣٨ (٦٢٣-٦٦٢ م) لسنتي ٦٥٦، و٦٥٧ م، واللّتين يذكرهما يوحنا الدمشقي (٦٧٦-٧٤٩ م)<sup>(١٤)</sup>.

فمن هذه المعطيات السابق ذكرها يتضح لنا جلياً أنه حتى سنة ٥٧٧ ميلادية كانت مدة الصوم الكبير في كنيسة مصر ستة أسابيع، وأنه في سنة ٦٥٦ ميلادية كانت مدة الصوم الكبير ثمانية أسابيع. وهذا معناه أنه خلال الثمانين سنة المحصورة بين هذين التاريخين (٥٧٧، ٦٥٦ ميلادية) أي منذ أواخر القرن السادس حتى إلى منتصف القرن السابع للميلاد تقريباً حدث تطوران أساسيان في مدة الصوم الكبير في كنيسة مصر، التطور الأول منهما هو إضافة أسبوع سابع على الصوم الكبير، والتطور الثاني هو إضافة أسبوع ثامن على الصوم الكبير في مقدمته.

فعن هذا التطور الثاني وهو الأسبوع الثامن الذي أضيف على مقدمة الصوم المقدس الكبير في أوائل القرن السابع الميلادي، والذي اتضح جلياً في زمن البابا بنيامين الأول ال ٣٨ (٦٢٣-٦٦٢ م)، تدعوه كل المصادر القبطية باسم "أسبوع هرقل" أو "جمعة هرقل" أو "صوم هرقل" كما سبق أن ذكرت.

وظل هذا الأسبوع الثامن (أسبوع هرقل) قائماً في الكنيسة القبطية في القرنين الثامن والتاسع للميلاد. فنعرف من سيرة البابا مرقس الثاني ال ٤٩ (٧٩٩-٨١٩ م) أن يوم رسامته كان في يوم الأحد ٢ أمشير سنة ٥١٥ ش / ٢٧ يناير سنة ٧٩٩ م، وبعد أسبوع من رسامته كان بدء الصوم الكبير أي في يوم الاثنين ١٠ أمشير سنة ٥١٥ ش / ٤ فبراير سنة ٧٩٩ م. وإذا عرفنا أيضاً أن عيد القيامة قد وقع في هذه السنة في يوم الأحد ٥ برموده سنة ٥١٥ ش / ٣١ مارس سنة ٧٩٩ م، فتكون مدة الصوم ٥٥ يوماً<sup>(١٥)</sup>.

11. Brit. Mus. Pap. DCCXXIX., 577 A.D. (?).

١٢ - هو البابا داميانوس ال ٣٥ (٥٦٩-٦٠٥ م) من بطاركة الكنيسة القبطية.

13. Bernard P. Grenfell, M.A., and Arthur S. Hunt, M.A., *Greek Papyri, Series II, New Classical Fragments and Other Greek and Latin Papyri*, Oxford, 1897, p. 163, 164.

14. PG., 95, 77 ; Cf. also Anton Baumstark, *Comparative Liturgy, op. cit.*, p. 196.

15. B. Evetts, *History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria. Arabic Text edited, translated and annotated, in PO.*, X, Paris 1912, p. 519-520.

ويشرح سعيد بن بطريق (٨٧٧-٩٤٠م)<sup>(١٦)</sup> البطريرك الملكاني في مصر في أواخر القرن الثّاسع الميلادي، في كتابه "نظم الجواهر" عن صوم جمعة هرقل الأحداث المؤسفة التّالية:

"في السنّة الثّاسعة من مُلك هرقل (٦١٠-٦٤١م) خرج هرقل من القُسطنطينيّة يريد بيت المقدس لينظر ما حرّب الفرس منه، فلمّا بلغ طبريّة خرج إليه اليهود والسّاكنون بطبريّة وجبل الجليل والنّاصرة وكلّ قرية في تلك النّاحية أيضاً، فاستقبلوه بالهدايا ورغبوا إليه ودعوا إليه أن يعطيهم الأمان فكتب لهم بذلك عهداً. فلمّا دخل (هرقل) إلى المدينة (بيت المقدس) ونظر إلى ما أحرقت الفرس وأحرقوا، اغتم غمّاً شديداً... وأنّ الرّهبان وأهل بيت المقدس قالوا لهرقل: إنّ اليهود الذين حول بين المقدس مع جبل الجليل وقت وافى الفرس، كانوا معهم يعينونهم وأهمّ همّ الذين قتلوا النّصارى أكثر من الفرس وأحربوا الكنائس وأحرقوها بالنّار... فقال لهم هرقل: فماذا تريدون؟ قالوا له: تفعل مسرّتنا وتقتل كلّ يهودي حول بيت المقدس وجبل الجليل<sup>(١٧)</sup>، لأننا لا نأمن أن يجيئنا قومٌ مخالفون لنا، فيكون هؤلاء معينين لهم علينا أيضاً كما أعانوا الفرس علينا. فقال لهم هرقل: كيف أستحلّ قتلهم وقد أعطيتهم الأمان وكتبت لهم به عهداً، وأنتم تعلمون ما يجب على من نقض العهد؟ ومتى نقضت العهد والأيمان كان ذلك عاراً عليّ... فقالوا له: إنّ سيّدنا المسيح يعلم أنّ قتلك لهم غفراً لذنوبك، وتمحيص لخطاياك<sup>(١٨)</sup>!!! والنّاس يعذرونك، لأنك في الوقت الذي أعطيتهم الأمان لم تعلم ولم تدر ما فعلوا من قتل النّصارى وخراب الكنائس... فقتلك لهم قرباناً تُقدّمه إلى الله!!! ونحن نختمل عنك هذا الذّنوب ونكفره عنك ونسأل سيّدنا يسوع المسيح ألا يؤاخذك به، ونجعل لك جمعة البيض والجبن التي قبل الصوم الكبير صوماً نقيّاً في جملة الصّوم الكبير، نصومها لك، وترك فيها أكل البيض والجبن ما دامت النّصرانيّة. لأنّ الملكيّة كانوا يمتنعون في هذه الجمعة عن أكل اللحم، ويأكلون فيها البيض والجبن والسّمك على ما بيّنه تيبكون القدّيس مار سابا. فقالوا له: نحن نصومها لك وترك فيها أكل الرّهومات كلّها، ونجعل في هذا قانوناً وحرماً ولعناً ألاّ يتغيّر ذلك أبداً<sup>(١٩)</sup> ونكتب به إلى جميع الآفاق غفراً لما سألتك أن تفعله. فأجابهم هرقل إلى ذلك وقتل من اليهود حول بيت المقدس وجبل الجليل ما لا يُحصى عدده ممّن قدر عليه... وصيروا أوّل جمعة من الصّوم التي يترك فيها الملكيّة أكل اللحم فقط، صوماً نقيّاً، وكانوا يصومونها لهرقل الملك غفراً لنقضه العهد وقتله اليهود ويمتنعون فيها عن أكل البيض والجبن والسّمك، وكتبوا بذلك إلى جميع الآفاق المناشير (أي الرّسائل). وأهل مصر القبط إلى الآن يصومونها، إلاّ الشّام والرّوم الملكيّة، فإنهم بعد موت هرقل رجعوا يأكلون في هذه الجمعة بيضاً وجبناً وسمكاً..."<sup>(٢٠)</sup>.

إنها وصمة عار في جبين المسيحيّة. ونحن نعلم العقاب العظيم الذي أنزله الله على هؤلاء الذين يدعون انتماءهم للمسيحيّة والمسيح، وهو العقاب الذي لازالت آثاره ونتائجه ماثلة بيننا حتى اليوم. أمّا الأقباط، وإن لم يكن لهم شأن بهذه الكارثة إلاّ أنّهم وافقوا على الاشتراك فيها ولو بمجرّد الصّوم، فطالهم همّ أيضاً عقاب كانت آثاره ونتائجه قائمة

يخطئ كتاب تاريخ البطارقة في سرده لسيرة البابا مرقس الثّاني (والذي يدعوه بطريق الخطأ مرقس الثّالث) حين يذكر أنّ يوم ١٧ برمودة سنة ٥٣٥ش/ ١٢ إبريل سنة ٨١٩م كان يوافق يوم أحد الفصح، والتّاريخ المذكور هنا يوافق يوم الثّلاثاء من أيام الأسبوع وليس يوم الأحد. وكان يوم عيد الفصح في هذه السنّة هو يوم الأحد ٢٢ برمودة سنة ٥٣٥ش/ ١٧ إبريل سنة ٨١٩م.

١٦- هو من أبرز البطارقة الملكانيّين في مصر، وكان طبيياً ومجادلاً ومؤرّخاً.

١٧- هذا الطلب الغريب كان في أثناء حملة هرقل على بلاد الفرس لاستعادة خشبة الصّليب المقدّس، والتي بدأت سنة ٦٢٢م، واستمرّت ست سنوات، أي حتى سنة ٦٢٨م.

١٨- يا للعار! وبيا للفضيحة! وبيا للخزي! الذي أصاب المسيحيّين في هذه الفترة المؤسفة من تاريخ المسيحيّة في الشّرق!!!

١٩- وهم أوّل من غيّر ذلك ونقض العهد!!!

٢٠- البطريرك أفنيسيوس المكنّى بسعيد بن بطريق، كتاب التّاريخ المجموع على التّحقيق والتّصديق (المعروف بنظم الجواهر)، مطبعة الآباء

اليسوعيّين، بيروت، ١٩٠٩م، ص ٥-٧

وجدير بالذكر هنا أنّ ما أورده قبطمارس الصّوم المقدّس الكبير عن الصّوم الكبير يستند في أصوله الأولى إلى ما كتبه البطريرك الملكاني سعيد بن بطريق. وهو ما يرد جانباً منه في المتن.

حتى إلى زمن قريب.

ويذكر قطمارس الصوم المقدس الكبير في مقدمته، أن جمعة هرقل صارت مقدمة للصوم الكبير. وأن البابا أبرام بن زرعه السرياني (٩٧٥-٩٧٨م) ال ٦٢ من باباوات الإسكندرية في أواخر القرن العاشر الميلادي، "لم يرغب أن يصوم هذا الأسبوع الجاري ممارسته عند الأقباط. ولكن صامه، في مقابل كونه فرض عليهم أن يصوموا ثلاثة أيام على اسم يونان. فنظراً لتقواه، قبل الأقباط ممارسة هذا الصوم بغير تردّد" (٢١). إذاً ففي القرن العاشر الميلادي كان صوم أسبوع هرقل مستقرّاً عند الأقباط، حتى ألزموا البطريرك السرياني بصومه.

ويؤكد ذلك ما يقوله الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) في القرن العاشر الميلادي، في المقالة الثامنة من كتابه "الدّر الثمين في إيضاح الدّين" حيث يقول: "... الأسبوع الأوّل ليس من الأربعين يوماً الصوم، بل نحن نصومه عبادة من أجل هرقل الملك لما قتل اليهود، وفسخ العهد الذي كان عاهدهم به، فهو خير مشهور معروف في أخبار هرقل، لا حاجة إلى ذكره هنا ... وأمّا أهل اليونان وأهل القسطنطينية الذين نسميهم الروم ... فإنهم يصومون من أوّل الأسبوع الثاني الذي هو بدء صوم الأربعين يوماً. فأما أسبوع كفسارة هرقل فلا يصومونه ..." (٢٢).

وهو نفس ما نجده في كتاب "تاريخ الكنائس والأديرة" لأبي المكارم في القرن الثاني عشر الميلادي، حيث نقرأ أن القس مرقس بن القنبر قد أبطل ثلاثة أيام صوم نينوى والجمعة الأولى من الصوم على رسم طائفة الملكيّة ... إلخ (٢٣).

وهو ما نجده أيضاً عند الأنبا بطرس أسقف مليح الملقّب بالجميل، في كتابه: "بَدَع الطوائف" تحت عنوان: "طريقة الصوم وأوقاته". وقد عاش في الفترة ما بين نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للميلاد.

وهو ما نجده أيضاً في قوانين الصّفي بن العسّال في القرن الثالث عشر الميلادي، فنقرأ: "... والأصوام الزائدة على ذلك والمستقرّة في البيعة القبطيّة منها ما يجري مجرى الصوم الكبير في التأكيد، وهي جمعة هرقل مقدّمة الصوم الكبير وصوم أهل نينوى ثلاثة أيام ... إلخ" (٢٤).

وهو ما نجده أيضاً عند القس أبو البركات بن كبر في القرن الرابع عشر الميلادي، في كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" (٢٥)، حيث يذكر أن أهل القُدس سألوا الإمبراطور هرقل Heraclius ملك الروم (٦١٠-٦٤١م) بقتل جميع يهود أورشليم لهدمهم الكنائس والقبور المقدّس، وإحراقهم المسيحيين بالنار، في مقابل أن يصوموا مع جميع النصارى بجميع الأقاليم أسبوعاً في كل سنة على مرّ الأيام إلى انقضاء الدهر. فكتب البطاركة والأساقفة إلى جميع البلاد بصوم هذا الأسبوع الأوّل من الصوم، وكان ذلك في زمن البابا الإسكندري أندرونيكوس ال ٣٧ (٦١٦-٦١٦م).

٢١- قطمارس الصوم الكبير بحسب طقس الكنيسة القبطيّة، طبع بإذن وأمر صاحب الغبطة البابا كيرلس الخامس سنة ١٩٢٢م، وعني بطبعه للمرّة الثانية أنثاسيوس مطران كرسي بني سويف والبهنسا، والقمص برنابا البراموسي رئيس دير السيّدة برموس سابقاً في عهد البابا المكرم الأنبا يوساب الثاني ال ١١٥ (١٦٦٩ش/١٩٥٣م)، ص ٤

٢٢- انظر: أنبا ساويرس بن المقفع، الدّر الثمين في إيضاح الدّين، مرجع سابق، ص ١٨٠، ١٨٢  
الجدير بالذكر أنه لم يرد شيء عن صوم هذا الأسبوع الثامن في مقدّمة الصوم الكبير في قوانين بطاركة الكنيسة القبطيّة خلال القرن الحادي عشر وحتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، أي البطاركة خريستوذولوس (١٠٤٦-١٠٧٧م)، و كيرلس الثاني (١٠٧٨-١٠٩٢م)، و غبريال بن ثريك (١١٣١-١١٤٥م).

٢٣- أبو المكارم، تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر الميلادي، الجزء الثاني، إعداد الرّاهب صموئيل السرياني، والأستاذ نبيه كامل

داود، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٥، ٢٦  
٢٤- انظر كتاب "المجموع الصّغوي" للصّفي بن العسّال، عني بنشره جرجس فيلوثاؤس عوض، الجزء الأوّل، ١٩٠٨م، الباب الخامس عشر،

ص ١٧١  
٢٥- مخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، لابن كبر، الباب الثامن عشر، ورقة ٢١٠، ج. ظ.

٦٢٣م<sup>(٢٦)</sup>، والذي كان معاصراً للبطريرك سرجيوس الأوَّل (٦١٠-٦٣٨م) بطريرك القسطنطينية، والبطريرك زخارياس (٦٠٩-٦٣٢م) بطريرك أورشليم.

وهو ما نجده أيضاً عند المكين جرجس بن العميد الصَّغير<sup>(٢٧)</sup> في القسم الثاني من كتابه ”مختصر البيان في تحقيق الإيمان“، الفصل الرَّابع، الرَّأس الأوَّل. وقد عاش ابن المكين الصَّغير قُرب نهاية القرن الرَّابع عشر الميلادي، حيث يذكر أن الأسبوع الأوَّل ليس من الصَّوم الكبير، وإنما فرض علينا صيامه كفارة عن الملك هرقل لما قتل اليهود وفسخ العهد الذي عاهدهم به.

ويقول المؤرِّخ العربي الشَّهير المقرئزي (١٣٦٤-١٤٤١م) في القرن الخامس عشر الميلادي، عن هذا الأسبوع: ”... ثمَّ سار هرقل ... وأوقع اليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق إلا من فرَّ واختفى. فكُتِبَ البطارقة والأساقفة إلى جميع البلاد بالزام النَّصارى بصوم أسبوع في السَّنة، فالتزموا صومه إلى اليوم، وعُرفت عندهم بجمعة هرقل“<sup>(٢٨)</sup>.

ويذكر ألفريد بتلر A. Butler (١٨٥٠-١٩٣٦م) في أواخر القرن التَّاسع عشر الميلادي أن أوَّل أسبوع من الصَّوم الكبير عند الأقباط لازال اسمه ”صوم هرقل“<sup>(٢٩)</sup>.

وينتقد الأسقف إيسيدوروس (١٨٩٧-١٩٤٢م)<sup>(٣٠)</sup> في القرن العشرين للميلاد صوم هذا الأسبوع في كتابه ”الخريدة النَّفيسة“، ويقول: ”قد أبطلت كلُّ الكنائس صوم هذا الأسبوع ما عدا الأقباط الأرثوذكس“<sup>(٣١)</sup>.

وهنا أُعيد ترتيب التَّواريخ مرَّةً أُخرى بخصوص مدَّة الصَّوم الكبير في كنيسة مصر.

• حتى سنة ٥٧٧م كان الصَّوم الكبير ستَّة أسابيع في زمن البابا داميانوس ال ٣٥ (٥٦٩-٦٠٥م).

• خلال ٤٥ سنة في الفترة من سنة ٥٧٨م إلى سنة ٦٢٢م، أصبح الصَّوم الكبير سبعة أسابيع، حيث صار الأسبوع السَّابع من الصَّوم هو أسبوع البصخة المقدَّسة، كأسبوع تال لسته أسابيع الصَّوم السَّابقة له، وهذا هو التَّطوُّر الأوَّل في مدَّة الصَّوم الكبير والذي سبق الإشارة إليه<sup>(٣٢)</sup>. وكان ذلك إمَّا في حبرية البابا داميانوس ال ٣٥ (٥٦٩-٦٠٥م) أو البابا أنسطاسيوس ال ٣٦ (٦٠٥-٦١٦م) أو البابا أندرونيكوس ال ٣٧ (٦١٦-٦٢٣م).

• في سنة ٦٢٣م صار الصَّوم الكبير ثمانية أسابيع في السَّنة الأخيرة من حبرية البابا أندرونيكوس ال ٣٧ (٦١٦-٦٢٣م).

٢٦- كان ابن كبرٍ صادقاً في نقله لأحداث مستقرَّة في الكنيسة، أي أنه ليس هو منشئها، وبالتالي يكون ما ورد في السنكسار القبطي نقلاً عن ابن كبرٍ صحيحاً في هذه الجزئية.

٢٧- هو غير جرجس بن أبي إلياس بن أبي المكارم بن أبي الطَّيب، المعروف بابن العميد الكبير الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي. وله كتاب في التَّاريخ باسم ”المجموع المبارك“.

أما المكين جرجس بن العميد الصَّغير، فكان طبيياً وقسماً وراهباً متوحداً في جبل طرة جنوب القاهرة. وله كتاب ”مختصر البيان في تحقيق الإيمان“ أو ”الحاوي المستفاد“، إلى جانب كُتُب أُخرى.

انظر للمؤلف: فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، الكتابات العربية، الجزء الثاني، الطَّبعة الأولى يناير ٢٠١٢م، ص ٧٧٨-٧٨٦  
٢٨- تقي الدِّين أبي العباس أحمد بن علي المقرئزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ص ٤٩١

٢٩- ألفريد ج. بتلر، فتح العرب لمصر، تعريب محمَّد فريد أبو حديد، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١١٩، ١٢٠  
٣٠- وُلد في صدد بأعمال حمص بسوريا، وهاجر مع خاله القُصص إشعياء السَّرياني إلى مصر. وصار القُصص إشعياء وكليلاً

لبطريركية الإسكندرية في عهد ثورة عرابي سنة ١٨٨٠م. أمَّا الأنا إيسيدوروس فقد التحق بدير البراموس في ١٢ يناير سنة ١٨٨٥م، ورُسم أسقفًا على الدَّير في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧م، وتبيَّح في ١٩ يناير سنة ١٩٤٢م.

القس أغسطينوس البراموسي، دير البراموس بين الماضي والحاضر، القاهرة، يناير ١٩٩٣م، ص ١٩٠-١٩٣  
٣١- الأنا إيسيدوروس، الخريدة النَّفيسة في تاريخ الكنيسة، الجزء الثاني، جبل ٧ رأس ٢

٦٢٣م)، وهو ما نجده بوضوح في زمن البابا بنيامين الأول الـ ٣٨ (٦٢٣-٦٦٢م) في القرن السابع الميلادي.

\* \* \*

لا تدفنوا رؤوسكم في الرمال، لأنه إذا حاولنا التستر على أحداث مؤسفة حدثت في تاريخنا المسيحي، فسوف لا يغفلها الآخرون. والاعتراف بالحقيقة هو أقصر الطرق للإصلاح، ولاحترام الآخرين لنا. هل نخجل أن نسميه أسبوع هرقل؟ لماذا ولم تكن للكنيسة القبطية أية علاقة بهذا الحدث المؤسف في تاريخ المسيحية في الشرق؟ أمّا أن ندعوه باسم مخفف أي "أسبوع الاستعداد" فهذا أمر غريب لأنه لا علاقة للأقباط بهذه التسمية لا من قريب ولا من بعيد. لأنها تسمية تختص بالكنائس البيزنطية.

وهو ما يشرحه لنا العالم اللّيتورجي الألماني بومشتارك A. Baumstark في كتابه "الليوتورجيا المقارنة" فيقول: "في زمن هرقل Heraclius حاول الشرق اليوناني التوفيق بين الممارسة العادية للصوم - أي أربعين يوماً صوماً - وبين التشدد الرهباني الذي حدده رهبان فلسطين للصوم الكبير بثمانية أسابيع، وذلك بإنشاء ما عُرف في الطقوس البيزنطي باسم προνήστιμος (برونستيموس) أي: "ما قبل الصوم" أو "تمهيد الصوم" pre-fasting أي τυροφάγος εβδομάς أو "استعداد الصوم" وهو صومٌ مسموحٌ فيه في التقليد البيزنطي بأكل الجبن، حيث خُففت صرامة الصوم في هذا الأسبوع الأول عن باقي الأسابيع التالية له. وفي هذا الأسبوع يُحتفل مرتين بالقدسات السابق تقديسها، مرة يوم الأربعاء، والأخرى يوم الجمعة، وهو الطقس الذي يختلف عما تمارسه أديرة فلسطين، حيث لا احتفال بالإفخارستيا الكاملة، ولا بالقدسات السابق تقديسها"<sup>(٣٣)</sup>.

إن تشدد رهبان فلسطين في صوم ثمانية أسابيع كما يذكر بومشتارك في الفقرة السابقة مباشرة، يتعارض مع ما سبق أن ذكره البطريك الملكاني سعيد بن بطريق بأن نفس هؤلاء الرهبان مع سُكّان أورشليم والقرى المحيطة بها، كانوا لا يصومون هذا الأسبوع الثامن في مقدّمة الصوم، وهو ما نعرفه من قولهم لهرقل: "نجعل لك جمعة البيض والجبن التي قبل الصوم الكبير صوماً نقياً في جملة الصوم الكبير، نصومها لك، ونترك فيها أكل البيض والجبن ما دامت النصرانية". وذلك لأن الملكية كانوا يمتنعون في هذه الجمعة عن أكل اللحم فقط، ويأكلون فيها البيض والجبن والسّمك على ما بيّنه تيبكون القديس مار سابا"<sup>(٣٤)</sup>.

إذاً فما هي علاقتنا نحن ككنيسة قبطية بمسمى "أسبوع الاستعداد"؟

## (ب) مدّة الصوم الكبير في الكنائس المختلفة شرقاً وغرباً

تقول عالمة الآبائية الفرنسية أنيك مارتا Annick Martin: كانت بعض الكنائس الشرقية تضيف صوم أسبوع الفصح (أسبوع البصخة) إلى الصوم الأربعيني، بدون أن تميّز بينهما كما في كنيسة الإسكندرية<sup>(٣٥)</sup>.

فكانت مدّة الصوم الكبير ستة أسابيع في كنائس أورشليم<sup>(٣٦)</sup> وأخائية<sup>(٣٧)</sup> وروما<sup>(٣٨)</sup>، وسبعة أسابيع في كنائس

33- Ibid., p. 197.

٣٤ - انظر (ص ٤) من هذا المقال.

35- Annick Martin, *op. cit.*, p. 163.

36- Eusebe, *De Solemnitate Pasch.*, 4 et 5.

37- Socrate, *H.E.*, V, 22, 6.

٣٨ - صارت مدّة الصوم ستة أسابيع في روما بعد منتصف القرن الرابع الميلادي.

Cf. Jerome, *To Pammachius Against John of Jerusalem*, 13, *NPNF.*, 2<sup>nd</sup> series, vol. VI.

وكانت قبل منتصف القرن الرابع الميلادي، ثلاثة أسابيع، ومن بعدها صوم ثلاثة أيام الفصح.

مراحل تطوُّر مدَّة الصَّوم الكبير في الكنائس المختلفة شرقاً وغرباً

قبرص<sup>(٣٩)</sup> وسوريا<sup>(٤٠)</sup> والقُسطنطينية<sup>(٤١)</sup>.

وهكذا ظلَّت فترة الأربعين يوماً غير محدَّدة تماماً في كلِّ كنيسة حتى إلى منتصف القرن الخامس الميلادي على الأقل، كما اختلفت عوائد الصَّوم وتباينت من مكان لآخر، ممَّا أفسح مجالاً لتأويلات عديدة.

### فكُّ اشتباكات حيرت الباحثين

ذكرتُ الآن أنَّ مدَّة الصَّوم الكبير في كنيسة أورشليم هو ستَّة أسابيع، وهو ما تؤكِّده لنا عظات القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) والتي يقول فيها للموعوظين المقبلين إلى المعمودية:

[إنني أترك لكم زماناً طويلاً مدَّة أربعين يوماً للتوبة ... إلخ]<sup>(٤٢)</sup>.

كما يقول لهم أيضاً:

[ليس لكم أربعون يوماً لتحرَّروا فيها من أجل خلاص نفوسكم]<sup>(٤٣)</sup>.

موضحاً بذلك أنَّ مدَّة الصَّوم هي ستَّة أسابيع فقط مثلما كان في كنيسة الإسكندرية تماماً. وهو ما يؤكِّده فيليب شاف Philip Schaff بقوله: إنَّ العظات الثماني عشرة الأولى للقديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) أُلقيت خلال الأسابيع الستة للصَّوم الكبير<sup>(٤٤)</sup>.

ولكن يعترضنا هنا ما ذكرته السَّائحة الإسبانية إيجيريا في القرن الرَّابع الميلادي، والتي زارت أورشليم فيما بين سنة ٣٨٢م وسنة ٣٨٣م، في زمن أسقفية القديس كيرلس الأورشليمي، حيث تذكر أنَّ مدَّة الصَّوم في كنيسة أورشليم هو ثمانية أسابيع، وذلك لكي تكون مدَّة الصَّوم الفعلي أربعين يوماً Quadragesimae لتعويض عدم صوم السُّبوت والآحاد باستثناء صوم السَّبب الكبير<sup>(٤٥)</sup>.

فكلام إيجيريا السَّابق ذكره بجوي أمرين يلزم الوقوف عندهما لتوضيحهما. الأمر الأوَّل هو في قولها إنَّ صوم كنيسة أورشليم في أواخر القرن الرَّابع كان ثمانية أسابيع، خلافاً لما يقوله القديس كيرلس الأورشليمي. والأمر الثَّاني هو أنَّ هذه الأسابيع الثمانية تدعوها بالمصطلح Quadragesimae .

ويصحَّح العالم اللُّيُتورجي الفرنسي المدقق لويس دوشسن Louis Duchesne (١٨٤٣-١٩٢٢م)، هذين الأمرين، وذلك في كتابه "العبادة المسيحية، أصولها وتطوُّرها"، فيقول بخصوص الأمر الأوَّل: إنَّ صوم الأسابيع الستة شاملاً أسبوع الفصح كان معروفاً في كلِّ من روما والإسكندرية وحتى في أورشليم أيضاً، إلا أنَّ زمن الصَّوم الكبير في

انظر: سقراط، تاريخ الكنيسة، ٦:٢٢:٥

39- Epi., Expos., fidei, 22, 9.

40- Apostolic Constitutions, v, 13.

انظر أيضاً: إغناطيوس أفرام الثَّاني، بطريك السَّرِّيَّان الأنطاكي، مرجع سابق، ص ١٤٢، ١٤٣

41- Sozomen, H.E., VII, 19, 2.

انظر أيضاً: إغناطيوس أفرام الثَّاني، بطريك السَّرِّيَّان الأنطاكي، مرجع سابق، ص ١٤٢، ١٤٣  
٤٢ - افتتاحية عظاته للموعوظين ٤

Cf. Procatechesis, NPNF., series 2, vol. 7.

٤٣ - العظة الأولى ٥

44- Schaff, Philip, NPNF., 2, 7, New York 1894, p. XLIV.

45- Cf. Cross, F.L. & Livingstone, E.A. The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2<sup>nd</sup> edition), 1988, p. 811 ; M.L. Mc. Clure and C.L. Feltoe, The Pilgrimage of Etheria, London-New York, 1919, p. 57.



أورشليم كان متبايناً، لأنه بحسب مذكرات السائحة الإسبانية إيجيريا، كان يمتد إلى ثمانية أسابيع<sup>(٤٦)</sup>.

مما يعني أن ما ذكرته إيجيريا عن ثمانية أسابيع صوم لم تكن هي الممارسة السائدة في كنيسة أورشليم في ذلك الوقت. ويفك هذا الاشتباك ما ذكره العالم الليتورجي بومشترك بقوله: "إن رهبان فلسطين قد تشددوا في التمسك بصوم الأسابيع الثمانية..."<sup>(٤٧)</sup>، وهو ما سبق أن ذكرته إيجيريا نفسها لكي تكون مدة الصوم الفعلي أربعين يوماً تعويضاً عن يومي السبت والأحد من كل أسبوع، اللذين لا يُصام فيهما انقطاعاً، مما يرجح تماماً أن ما ذكرته إيجيريا عن صوم ثمانية أسابيع كان يختص برهبان فلسطين كممارسة رهبانية في أديرة فلسطين، وليس كممارسة كاتدرائية في كنيسة أورشليم.

أمّا الأمر الثاني وهو الخاص بالمصطلح Quadragesimae والذي تدعوه إيجيريا بأنه يعني ثمانية أسابيع صوم، فهو ما يصححه مرة أخرى العالم الفرنسي لويس دوشسن Louis Duchesne (١٨٤٣-١٩٢٢م) حيث يذكر أن أول ذكر لهذا المصطلح ورد في القانون الخامس لجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م، ليعني صوم الأربعين المقدسة شاملة فيها أسبوع البصخة، وهو ما نجده في كنيسة روما وكنيسة الإسكندرية، أي ستة أسابيع. أمّا في أنطاكية والبلاد التي تتبع طقسها، وطبقاً لعظات القديس يوحنا ذهبي الفم، فيظل هذا المصطلح يعني الأربعين يوماً أيضاً، ولكنها الأربعين يوماً السابقة لأسبوع البصخة<sup>(٤٨)</sup>، وهو ما نقرأه في نص العظة رقم (٣٠) ليوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) على سفر التكوين والتي يقول فيها:

[لقد بلغنا إلى نهاية الأربعين Quadragesima ونحن الآن على وشك الدخول إلى الأسبوع العظيم]<sup>(٤٩)</sup>.

إذاً نخلص إلى القول بأنه لا يمكننا الاعتماد على ما تذكره السائحة الإسبانية إيجيريا إن كان يتعارض مع شهادات وثائقية أخرى.

هذا من جهة كنيسة أورشليم. أمّا من جهة كنيسة قبرص وسوريا، فسبق أن ذكرت أن مدة الصوم فيهما هو سبعة أسابيع (انظر: ص ٨) ولكن يعترضنا هنا نص أورده العالم الليتورجي بومشترك Baumstark (١٨٧٢-١٩٤٨م) مليء بالأخطاء، أربك كثيراً من الباحثين، وسوف أورده هنا كاملاً، مع تقسيمه إلى بنود ليسهل التعقيب عليه.

يقول بومشترك في كتابه "الليتورجيا المقارنة":

- (١) بعض الكنائس في الشرق حسبت أربعين يوماً صوماً فعلياً، وتقسّم هذه الفترة إلى ثمانية أسابيع، بصوم خمسة أيام في كل أسبوع منها، وهي ممارسة كنيسة أورشليم في زمن إيجيريا.
- (٢) وهي نفس الممارسة التي انتقلت إلى جزيرة قبرص في زمن القديس إيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م).
- (٣) كما انتقلت إلى أنطاكية في سنة ٣٨٧م، في زمن القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م).
- (٤) واستمرت حتى بدايات القرن السادس في زمن القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م).
- (٥) ومن بعد زمن ساويرس الأنطاكي بدأت الكنائس تتساهل في التمسك بصوم الأسابيع الثمانية.
- (٦) إلا أن رهبان فلسطين قد تشددوا في التمسك بصوم الأسابيع الثمانية وهو ما انتقل إلى رهبان مصر، ومن

46. Mgr. L. Duchesne, *Christian Worship, Its Origin and Evolution*, Second English Edition, London-New York, 1904, p. 243.

47. Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, op. cit., p. 195.

48. Louis Duchesne, op. cit., p. 242, 243.

49. Cf. Mgr. L. Duchesne, op. cit., p. 243.

مراحل تطوّر مدّة الصّوم الكبير في الكنائس المختلفة شرقاً وغرباً

رُهبان مصر انتقل إلى كنيسة مصر<sup>(٥٠)</sup>.

• فعن البند الثاني من النصّ السّابق، ليس صحيحاً ما يذكره بومشتارك عن وجود ثمانية أسابيع صوم في كنيسة جزيرة قبرص في زمن القديس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م). لأنّ القديس إبيفانيوس يقول في رسالة له: [إنّ الكنيسة تراعي الأربعين يوماً قبل سبعة أيام الفصح بصوم كلّ يوم]<sup>(٥١)</sup>.

• وعن البند الثالث، ليس صحيحاً ما يذكره بومشتارك بوجود ثمانية أسابيع صوم في أنطاكية في زمن القديس يوحنا ذهبي الفم، لأنّ ذهبي الفم يقول في عظته رقم (٣٠) على سفر التكوين: [لقد بلغنا إلى نهاية الأربعين Quadagesima ونحن الآن على وشك الدّخول إلى الأسبوع العظيم]<sup>(٥٢)</sup>.

وهو ما يؤكّده البطريك السّرياني أفرام الأوّل برصوم، الذي يذكر أنّ الصّوم الكبير قد عُرف في سوريا في القرن الثالث الميلادي، وألحق به في الرّبع الثاني من القرن الرّابع الميلادي صوم أسبوع الآلام الذي كان يُصام قبل ذلك التّاريخ بمُدّة طويلة. فصار الصّوم الأربعيني سبعة أسابيع شاملة أسبوع الآلام<sup>(٥٣)</sup>.

• وعن البند الرّابع، ليس صحيحاً ما يذكره بومشتارك بوجود ثمانية أسابيع صوم في زمن القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م)، حيث نعرف من كتاب بعنوان: "ساويرس الأنطاكي، حياته وزمانه"<sup>(٥٤)</sup> أنّ العظمتين (١٨، ١٠٥) له يرد فيهما ذكر صوم أربعين يوماً، وليس ثمانية أسابيع كما يذكر بومشتارك.

فنقرأ في نصّ العظة رقم (١٨) التي ألقيت في تذكّار الأربعين شهيداً ما يلي:  
[لا يندعش أحدكم عندما جمعتمكم في هيكل هؤلاء الشّهداء<sup>(٥٤)</sup> المعروفين بانتصارهم، على أساس أنّ الآباء قد أمروا في مقدّمة قوانينهم بعدم إقامة تذكّارات أعياد الشّهداء خلال صوم الأربعين يوماً... فلا يديننا أحدٌ بطريقة يهوديّة لأننا نحتفل بذكرى الأربعين شهيداً خلال أيام الصّوم، وبالرّغم من أنه غير مسموح لنا أن نفعل هذا للشّهداء الآخرين، إلّا أنه مسموح بالنّسبة لهؤلاء الأربعين شهيداً، لأنهم نتاج هذه الأربعين يوماً التي للصّوم، لأنّ كلّ يوم منح لنا بطلاً وشهيداً...] (العظة ١٨:١، ٧)<sup>(٥٥)</sup>.

كما نقرأ في نصّ العظة رقم (١٠٥) على الصّوم الكبير، والتي فيها يقارن القديس ساويرس الأنطاكي بين الفلسطينيين الذين أعادوا تابوت عهد الرّب إلى الإسرائيليين وبين عودة الصّوم الكبير إلينا من عند الرّب، فيقول:  
[دورة هذه الأربعين المقدّسة، لم ترجع إلينا من عند الفلسطينيين، بل من السّموات عينها، إذ أنّ الأمر بالصّوم صدر إلينا من هناك...]<sup>(٥٦)</sup>.

• وعن البند الخامس، يذكر بومشتارك أنه بعد زمن القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م) بدأت الكنائس تتساهل في التّمسك بصوم الأسابيع الثمانية، بدون أن يحدّد كلامه، أي يحدّد الوقت الذي حدث فيه ذلك. ولكن أحداث

50- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy, op. cit.*, p. 194, 195.

51- Epi., *Expos., fidei*, 22, 9.

٥٢- البطريك أفرام الأوّل برصوم، الدرر النّفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، طبعة حمص ١٩٤٠م، ص ٤٠٤، ٤٠٥؛ انظر أيضاً: المراسيم الرّسوليّة ٦٩:٤٧:٨

53- John D'Alton & Youhanna Youssef, *Severus of Antioch, His Life and Times*, Leiden-Boston, 2016, p. 50, 169, 170.

٥٤- وهم الأربعون شهيداً ببسطة.

55- Pauline Allen and C.T.R. Hayward, *Severus of Antioch*, London and New York, 2004, p. 119-120.

٥٦- سلسلة مقالات الأنبا ساويرس البطريك الأنطاكي ٢٥، مقال القديس الأنبا ساويرس البطريك الأنطاكي عن الصّوم الكبير، مترجم عن الفرنسيّة من الجزء الثالث والعشرين من مجموعة الآباء الشّرفيين، بواسطة مليكة حبيب يوسف ويوسف حبيب، بدون تاريخ، ص ٤  
*Patrologia Orientalis*, R. Graffin – F. Nau, *Les homélies cathédrales de Sévère d'Antioche*, Homélie CV.

التاريخ تذكر أن ذلك حدث بعد موت هرقل (٦١٠-٦٤١م)، وهو ما لم يذكره بومشطارك الذي غابت عنه هذه الشهادات الوثائقية الغزيرة السابق ذكرها.

• وعن البند السادس - والذي أرجأت الحديث عنه لكي لا يرتبك القارئ أو السامع - والذي يذكر فيه بومشطارك أن صوم الأسابيع الثمانية قد انتقل إلى كنيسة مصر عن طريق رهبان فلسطين، ومنهم إلى رهبان مصر، ومنهم إلى كنيسة مصر!! فهو أمر مستغرب.

فلقد حاول بعض الباحثين الاعتماد على هذا البند لكي يثبتوا أن صوم الأسابيع الثمانية للصوم الكبير كان معروفاً في كنيسة مصر قبل زمن هرقل!! ومن ثم فلا علاقة لهذا الأسبوع الثامن في مقدمة الصوم الكبير بهذه التسمية أي صوم هرقل، متغافلين عن الإثباتات الوثائقية الغزيرة التي تدحض زعمهم.

ويوضح لنا أن دخول الأسبوع الثامن على مقدمة الصوم الكبير في كنيسة مصر، لا خلاف عليه، سواء عند بومشطارك أو غيره، ولكن الخلاف يكمن في وقت دخول هذا الأسبوع الثامن، وأيضاً في سبب دخوله.

أمّا من جهة وقت دخول هذا الأسبوع في كنيسة مصر فهو غير واضح أو محدد عند بومشطارك، إلا أنه في المصادر الأخرى الكثيرة بعيداً عن بومشطارك، والتي سبق ذكرها، كان ذلك في أوائل القرن السابع الميلادي، وبالتحديد بدءاً من سنة ٦٢٣م، أو بعدها بقليل.

وأمّا عن سبب دخول هذا الأسبوع الثامن إلى الصوم الكبير في كنيسة مصر، فرمما يكون بومشطارك محققاً حين يذكر أنه دخل عن طريق رهبان فلسطين، ولكن ليس بسبب تشدد منهم كما يذكر بومشطارك نقلاً عن إيجيريا، بل ربما لأنهم هم الذين كانوا سبب إضافة أسبوع هرقل كما يذكر البطريرك الملكاني سعيد بن بطريق، وكذلك ما يذكره ابن كبر حين يذكر أن البطارقة والأساقفة كتبوا مراسلات إلى جميع البلاد بصوم هذا الأسبوع، وهو ما لم يشر إليه بومشطارك. ولكن في مقابل ذلك، لا يوجد مصدر قبطي واحد يقول بأن الرهبان الأقباط هم الذين أدخلوا هذا الأسبوع إلى كنيسة مصر. ولهذا أرجأت الحديث عن هذا الأمر غير المؤثق إلى هذه المرحلة المتأخرة من البحث، كي لا يتوه القارئ أو السامع في مناهات غير مجدية.

## ( ج ) مدة الصوم المقدس الكبير في مختلف الكنائس في الوقت الحالي

### في الشرق المسيحي

مدة الصوم في كنيسة مصر حالياً هي ثمانية أسابيع شاملة أسبوع البصحة المقدسة.

وأمّا في الكنيسة السريانية الأنطاكية، فلقد حدثت تطورات متلاحقة فيها منذ أوائل القرن العشرين للميلاد بخصوص مدة الصوم الكبير. فقد سمح البطريرك إلياس الثالث (١٩٣٢+) للسريان بأكل السمك في أيام الصوم الأربعيني، كما سمح لأبناء الكنيسة السريانية في الولايات المتحدة الأمريكية بأن يصوموا أسبوعين فقط؛ الأسبوع الأول من الصوم الكبير، وأسبوع الآلام<sup>(٥٧)</sup>، بالإضافة إلى أيام الأربعاء والجمعة خلال الأسابيع الخمسة التي تقع بينهما، وسمح لهم بالإفطار في بقية أيامه. وهو نفس ما سمح به البطريرك أفرام الأول برصوم (١٩٥٧+) في سنة ١٩٤٦م للسريان في كنيسة الهند، فضلاً عن تخفيفه لبقية الأصوام الأخرى. وفي سنة ١٩٦٦م، سمح البطريرك يعقوب

٥٧- تعبير "أسبوع الآلام" ليس تعبيراً نابعاً من تقليد الكنيسة القبطية، والتي ترى أنه ليس أسبوعاً لآلام فحسب، بل لآلام خلاصية، أي للعبور من الموت إلى القيامة أي "بصحة".

الثالث (١٩٨٠+) لجميع السّريان في الشّرق والغرب بصوم الأسبوعين الأوّل والأخير من الصّوم الأربييني فقط بالإضافة إلى أيام الأربعاء والجمعة لكلّ من الإكليروس والشّعب، وسمح لهم باستعمال جميع الأطعمة في بقية أيامه، كما سمح لهم بإقامة الولايم والأعراس والعماد والقُداس والتذكارات في جميع الأيام التي تتوسّط الأسبوعين المذكورين<sup>(٥٨)</sup>.

ويصوم الأرمن الأرثوذكس ٤٨ يوماً شاملة فيها أسبوع البصخة المقدّسة<sup>(٥٩)</sup>. ويبقى الصّوم وفترة الانقطاع عند الأرمن الأرثوذكس حُرّين يختار كلُّ مؤمن ما يناسبه. وقد أخذ الطّقس الأرمني عن طقس كنيسة أورشليم، صلاة الغروب لأيام الأربعاء والجمعة في الأسابيع الستة للصّوم الأربييني المقدّس، كما أخذ عنه قراءات الأسبوع الثالث كلّ من الصّوم المقدّس الكبير، وكذلك قراءات أحد الشّعائين، وقراءات الأيام الثلاثة الأولى من أسبوع البصخة.

أمّا الرّوم الأرثوذكس، فمدّة الصّوم عندهم هي سبعة أسابيع، شاملة أسبوع الفصح. ومسموح عندهم بأكل الأسماك الصّدفية في سبوت وأحد الصّوم الكبير، كما يشهد بذلك ملاتيوس الصّائم. أمّا الرّوم الكاثوليك فمدّة الصّوم عندهم ٤٧ يوماً أيضاً، حيث يمتنعون عن أكل اللحم في أيام الأربعاء والجمعة طيلة الصّوم بالإضافة إلى أسبوع الفصح.

ويمتد الصّوم المقدّس الكبير في الكنيسة الآشورية لمدّة سبعة أسابيع، والصّوم حتى الغروب، مع الانقطاع عن اللحم والبيض في الأسبوع الأوّل والأسبوع الأوسط والأسبوع الأخير من الصّوم، وكلّ أيام الأربعاء والجمعة على مدى أسابيع الصّوم.

### في الغرب المسيحي

في الغرب المسيحي يُسمّى الصّوم الأربييني في اللاتينية Quadragesimal fast وهذه التسمية تبدأ مع الأحد الأوّل من الصّوم والمعروف بأحد الكوادراجيزما Quadragesimal Sunday حيث يمتد الصّوم إلى ستة أسابيع. ولا زال الطّقس الأمبروزي يعرف هذا مُسمّى الأحد، ثمّ أضيف إليه أربعة أيام تبدأ من يوم الأربعاء السّابق له مباشرة، والذي يُسمّى يوم الرّماد Ash Wednesday لتكميل العدد الحقيقي لأربعين يوماً صوماً. وقد سُمّي كذلك، إذ كان الإكليروس والشّعب يضعون رماداً على رؤوسهم علامة التّوبة<sup>(٦٠)</sup>. كما يُستخدم هذا الاسم Quadragesima أحياناً لمجموعة من العظات تُقال في هذه الفترة<sup>(٦١)</sup>.

وهذه الأيام الأربعة السّابقة على الصّوم في طقس روما، تشبه الأسبوع السّابق على الصّوم في التّقليد البيزنطي، والذي تسمّى بأسبوع الاستعداد، حيث أنّ التّشابه بينهما هو في إقامة الاحتفال الإفخارستي في يومي الأربعاء والجمعة من هذا الأسبوع<sup>(٦٢)</sup>.

وانحسر صوم الستة أسابيع في الكنيسة الغربيّة، إلى صوم يومي الأربعاء والجمعة من كلّ أسبوع خلال هذه الستة أسابيع - ويتبعهم في ذلك الموارنة<sup>(٦٣)</sup> - ويكون الصّوم فيهما حتى الظّهر، والانتقطاع عن أكل اللحم كلّ أيام الجُمع من الصّوم. ففي سنة ١٩١٧م، خفّف الحق القانوني الكنسي الكاثوليكي قانون الصّوم، فأباح أكل البيض وشرب الحليب،

٥٨- المنشور البطريركي الصّادر في ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩٦٦ م - المجلّة البطريركيّة، دمشق - السّنة الرابعة العدد ٣٧ ص ٣٧٠

59- Malachia Ormanian, *The Church of Armenia*, London 1912, p. 179.

٦٠- يرى العالم اللّيتورجي بومستارك A. Baume Stark أن الأيام الأربعة السّابقة على الصّوم المقدّس، والتي حدّدها الغرب لتبدأ بأربعاء الرّماد قد وُضعت لسوء فهم.

61- ODCC., 2<sup>nd</sup> edition, p. 1149.

62- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, op. cit., p. 198.

٦٣- يمتنع الموارنة عن اللحم في أيام الأربعاء والجمعة احتراماً للشّريعة، ويوم السّبت أيضاً إكراماً وتعبداً لمريم العذراء. على أنّ الإمساك يوم السّبت، اختياري. ومع ذلك فهو مرعي الحفظ أكثر من الأربعاء والجمعة. وعندهم فوق ذلك أربعة أصوام على مدار السّنة هي: الصّوم الكبير، وصوم الميلاد، وصوم السيّدة العذراء، وصوم القديسين بطرس وبولس.

وأبقى على الاكتفاء بتناول وجبة واحدة في النَّهار. وفي سنة ١٩٤١م صدر تخفيف آخر برفع إلزامية الصَّوم والانتقطاع، ثمَّ جرى تثبيت ذلك بنصِّ قانوني صدر سنة ١٩٤٦م. وفي سنة ١٩٤٩م صدرت تعليمات كنسيَّة جديدة أعادت بعض جوانب الصَّوم، مثل فرض الصَّوم حتى الظُّهر، والانتقطاع عن أكل اللّحم أيام أربعاء الرَّماد والجُمعة العظيمة وسبت الثُّور، والانتقطاع عن اللّحم فقط في جُمع الصَّوم الكبير كلّها. أمَّا الوضع الحالي، فصار الانتقطاع عن أكل اللّحم يوم الاثنين الأوَّل من الصَّوم - مدخل الصَّوم - ويوم الجُمعة العظيمة، وأيام الجُمع من الصَّوم<sup>(٦٤)</sup>.